

القول في

هيكل

سليمان

بمنظور

المسلم

والمنطقة

والعقائد

الأثرية

يُكثر الصهاينة المعاصرون، من الحديث عن وهم اسمه "الهيكل"، زاعمين أنه مدفون تحت المسجد الأقصى، في مدينة القدس العربية. واستناداً لهذه المزاعم، أقدم الصهاينة على إجراء حفريات شاملة في القدس وسواها، امتدت لأسفل المسجد حتى لامست أساساته، بدون العثور على حجر ولو بحجم الحصة، يدل على وجود هيكلهم المزعوم. وبعد اليأس من الحصول على دليل يتخذونه ذريعة لهدم الأقصى وإقامة ما يسمى "الهيكل الثالث" على أنقاضه. أطلق قادة الاحتلال العنان للمستوطنين، كي يقوموا باقتحامات لباحاته، وإقامة صلواتهم فيها، على نحو شبه يومي، لفرض واقع جديد يمكنهم من الاستيلاء على أولى القبلتين وثالث الحرمين عنوة عن جميع العرب والمسلمين. فما حقيقة هذا الصرح الذي سُمِّي "هيكلًا"؟ وما هي أوصافه حسب التوراة؟ وماذا يقول علماء الآثار والمفكرون بشأنه؟ وماذا يقول بعض اليهود المتنورين في هيكلهم المزعوم؟..

□ محمد إسماعيل حديد

وماذا يقول القرآن الكريم عن نبي الله سليمان عليه السلام ومملكته؟ وأين تقع هذه المملكة العجيبة؟ وهل الهيكل موجوداً حقاً في فلسطين؟ أو خارجها؟ سترد الإجابات على هذه الأسئلة، فيما يلي من فقرات بداية، تشدنا موجبات البحث للعودة ثلاثين قرناً إلى الوراء، لنقف عند العام 965 ق.م، وهو عصر النبي سليمان عليه السلام باعتباره صاحب الهيكل "الأسطورة" وبانيه "بحسب أمر الرب" المسطور في أسفار التوراة⁽¹⁾، ما جعل اليهود يطلقون اسم سليمان على هذا البناء الذي عُرف بـ "هيكل سليمان". وفي هذا المعنى يشير سفر الملوك الأول إلى بداية القصة، حين عزم النبي سليمان عليه السلام على بناء بيت للرب فيقول: «وَهَآنَذَا قَائِلٌ عَلَى بِنَاءِ بَيْتٍ لاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِي كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ دَاوُدَ أَبِي قَائِلًا: إِنَّ ابْنَكَ الَّذِي أَجْعَلُهُ مَكَانَكَ عَلَى كُرْسِيِّكَ هُوَ يَبْنِي الْبَيْتَ لاسْمِي».⁽²⁾

الهيكل في نصوص "التوراة"

قبل الولوج إلى صلب البحث، لابد من التنويه إلى إن بناء بيوت العبادة، التي كانت تسمى "بيوت الرب" في تلك الأزمان، هي من الطقوس التي كانت شائعة عند العرب الوثنيين في بلاد الرافدين وبلاد الشام والجزيرة العربية، وحتى في مصر الفرعونية. ويعود أصل هذه المعتقدات إلى تاريخ مغرق في القدم، يسبق تاريخ بني إسرائيل بقرون بعيدة. فقد كان الأقدمون يعتقدون أن الآلهة عندما تنزل إلى الأرض، يجب أن تجد بيتاً ترتاح فيه، وإن لم تجد، فإنها ستُنزل سخطها على من لم يبني لها بيتاً لأجل راحتها. لذا جاءت فكرة بناء بيت الرب، الواردة في سفر الملوك الأول، تقليداً لما هو سائد لدى السكان المحليين، من العرب الوثنيين.

لقد أتخم المتأخرون الذين جاؤوا بعد "عزرا" صفحات أسفارهم بالتضخيم والتفصيل، حين قدموا وصفهم المستفيض لأبعاد الهيكل الأسطوري، وتقسيماته الداخلية والخارجية، وما يحوي كل قسم من أقسامه، هذا فضلاً عن التنبيه لذاك العدد الهائل من العمال والمشرفين، الذين اشتركوا في بنائه وتشييده. ومن المرجح أن هذه المبالغات لم تأت جزافاً، بل جاءت كرد فعل عما كان يعانيه اليهود من الشعور بالدونية والمهانة، الناجمين عن ظروف السبي القاهرة، والتي عاشها "عزرا" وقومه في بابل، فلجؤوا للتعويض عنها بالمبالغة في وصف العظمة والفخامة التي اكتتفت هيكلهم، زاعمين أن أجدادهم شيده في العصور الغابرة، فكانت مبالغاتهم زاخرة بالبطر

(1) التوراة البابلية هي التي كتبها "عزرا الكاهن" أثناء السبي البابلي، وتتألف من الأسفار الخمسة الأولى من التوراة الحالية - التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية - وقد زاد عليها اليهود المتأخرون، حتى بلغت ستة وأربعين سفراً. وهذه الأسفار كتب يعود أقدمها إلى ما بعد وفاة النبي موسى عليه السلام بما يزيد عن سبعمائة سنة، وقد أطلق عليها - خطأً - اسم "التوراة". أما التوراة التي أنزلت على النبي موسى عليه السلام فقد أضعها اليهود باعترافيهم، وهم يبحثون عنها حتى اليوم.

(2) سفر الملوك الأول 5:5

والإسفاف، وكان كتبة الأسفار - بوصفهم لهيكل سليمان على النحو الذي تناولوه - قصدوا مضاهاة هرم "خوفو" في مصر التي عاشوا فيها أذلة لعدة قرون، أو ربما أرادوا مجارة البابليين في برجهم وحدائقهم المعلقة، حيث يعيشون مذلة السبي ورَهَق العبودية. وهذه المبالغات المتعمدة، أُريدَ بها توجيه رسالة للبابليين والفرس من بعدهم، للتأكيد على أن جموع المسيبيين هم أيضاً أصحاب حضارة غابرة، وحضارتهم ربما فاقت حضارة وادي النيل العريقة، وحضارة بابل المزدهرة، وهذا الهيكل "العظيم" هو الدليل على ذلك .

مع كل تلك المبالغات، لم تكن أبعاد الهيكل على الأرض كبيرةً إلى الحد الذي يجعل منه صرحاً شهيراً، على النحو الذي يروج له الصهاينة عبر إعلامهم المضلل. فهو حسب الملوك الأول بطول ستين ذراعاً، وعرض عشرين، وارتفاع ثلاثين. وهذا يعادل في مقاييسنا المعاصرة (36) متراً للطول، و(12) متراً للعرض، و(18) متراً للارتفاع، باعتبار أن الذراع الواحد يساوي (60) سنتيمتراً. واستناداً لهذه الأرقام فإن مساحة الهيكل هي 432 متراً مربعاً. وهذه المساحة تعادل مساحة "فيلا" متوسطة أو مدرسة صغيرة أو مسجد متواضع. «وَالْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِلرَّبِّ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعاً، وَسَمَكُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعاً»⁽¹⁾.

وتبلغ الاستهانة بالعقول مبلغها، حين يعرض كتبة "التوراة" أعداد من شاركوا في بناء هذه "الفيلا". فقد جاء في سفر الملوك الأول: «وَسَخَّرَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتْ السُّخَّرُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَجُلٍ. فَأَرْسَلَهُمْ إِلَى لُبْنَانَ عَشْرَةَ أَلْفٍ فِي الشَّهْرِ بِالنَّوْبَةِ. يَكُونُونَ شَهْراً فِي لُبْنَانَ وَشَهْرَيْنِ فِي يَبُوتِهِمْ. وَكَانَ أَدُونِيرَامُ عَلَى الشَّخِيرِ. وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً يَحْمِلُونَ أَحْمَالاً، وَكَمَانُونَ أَلْفاً يَقْطَعُونَ فِي الْجَبَلِ، مَا عَدَا رُؤَسَاءَ الْوُكَلَاءِ لِسُلَيْمَانَ الَّذِينَ عَلَى الْعَمَلِ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثَ مِئَةٍ، الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَى الشَّعْبِ الْعَامِلِينَ الْعَمَلَ»⁽²⁾.

بالطبع هذه الأعداد لا تشمل عبيد "حيرام" ملك صور الذين كانوا يقطعون أشجار الأرز من لبنان، لينقلها المسخرون من بني إسرائيل إلى سفن اللبنانيين، لأن بني إسرائيل لا يملكون خبرة اللبنانيين في قطع الأشجار والملاحة البحرية. كما لا تشمل أعداد الطهاة والخبازين والسقاة والأطباء ورجال الكهانة وغيرهم، وبذلك تكون أعداد من شاركوا في بناء هيكل سليمان، قد فاق عدد الذين قاموا ببناء هرم "خوفو". والغريب العجيب أن هذا العدد الهائل من العمال والمهندسين استمروا في عملهم المتواصل سبع سنين حتى أنهوا بناء "بيت الرب في" أورشليم⁽³⁾. «وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ فِي شَهْرِ بُولَ، وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّامِنُ، أَكْمَلَ الْبَيْتُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَأَحْكَامِهِ. فَبَنَاهُ فِي سَبْعِ سِنِينَ»⁽³⁾.

(1) سفر الملوك الأول 6: 2

(2) سفر الملوك الأول 5: 13 - 16

(3) سفر الملوك الأول 6: 38

وما يجعلُ المرءَ يفغرُ فاهُ استغراباً واستهجاناً هو بناءُ منزل سليمان الذي قام ببنائه نفس البنائين والحمالين ورجال السخرة وغيرهم، بعد فراغهم من بناء الهيكل، وظل العمل جارياً لثلاث عشرة سنة «وَأَمَّا بَيْتُهُ فَبَنَاهُ سُلَيْمَانُ فِي ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَكْمَلَ كُلَّ بَيْتِهِ...»⁽¹⁾، ثم يسترسل كتبه السفر في توصيف مقاييس المنزل وعدد غرفه، وطول الرواق أمامه، وعدد أعمدته وما كان عليه في الداخل من كسوة بالذهب الخالص، إلى آخر هذه التفاصيل التي جاءت على عدة صفحات من سفر الملوك الأول.

ذكر الكتبة أبعاد منزل النبي سليمان ﷺ فقالوا: «طُولُهُ مِئَةُ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهُ خَمْسُونَ ذِرَاعًا وَسَمَكُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، عَلَى أَرْبَعَةِ صُفُوفٍ مِنْ أَعْمِدَةٍ أَرْزٍ وَجَوَائِزُ أَرْزٍ عَلَى الْأَعْمِدَةِ. وَسُقُفٌ بِأَرْزٍ مِنْ فَوْقُ عَلَى الْغُرَفَاتِ الْخَمْسِ وَالْأَرْبَعِينَ الَّتِي عَلَى الْأَعْمِدَةِ...»⁽²⁾. وهذا يعني أن أبعاد المنزل بالمقاييس الحالية هي: (60) متراً للطول، و(30) للعرض، (18) للارتفاع. وبذا تكون المساحة الكلية للمنزل على الأرض (1800) متراً مربعاً، أي ما يزيد قليلاً عن أربعة أضعاف مساحة الهيكل، ويساويه في الارتفاع.

إن أبنية على هذه الدرجة من الضخامة والرسوخ، سواء كانت هيكلًا أم منزلاً، لا يعقل أن تزول عن الوجود دون أن يبقى منها أثر. لكن اليهود تذرعو بأن الهيكل قد تعرض للهدم والإحراق مرتين، الأولى على يد "نبوخذ نصر" عام 587 ق.م، والثانية على يد الحاكم الروماني "تيطس" عام 70 ميلادية، وظل الهيكل مدمراً منذ ذلك الحين حتى اليوم، أي قرابة الألفين من السنين، كانت كفيلة بإزالة كل أثر للهيكل المزعوم. وإذا كان الوضع كذلك بالنسبة للهيكل، فما هو الوضع بالنسبة لمنزل النبي سليمان ﷺ الذي يبلغ أربعة أضعاف مساحة الهيكل، ولم يرد في أية تورا يهودية، سواء البابلية منها، أم الأورشليمية أم السبعونية وغيرها - أن أحداً قد دمر منزل سليمان كما فعلوا بالهيكل. فأين منزل سليمان إذن؟.

علم الآثار يفضح المغالطات

في الحقيقة، إن كتبه التوراة⁽³⁾ قد وقعوا في مطب المغالطة التاريخية التي بدأت تتكشف جوانبها تباعاً. فهم تخيلوا وألفوا واسترسلوا وبالفوا وغالطوا وكذبوا وحرّفوا وسرقوا من تراث الشعوب التي عاشوا على هامشها من عرب وفراعنة وفرس، ولم يخطر ببالهم أنه سيأتي ذلك اليوم

(1) سفر الملوك الأول 7:1

(2) سفر الملوك الأول 7:2

(3) يزعم كتبه التوراة ومن لحق بهم من اليهود، أن التوراة الحالية هي التوراة التي نزلت على النبي موسى عليه السلام، فكيف يكون هذا والتوراة تحكي قصة هيكل سليمان بالتفصيل الممل؟، رغم أن عصر موسى سبق عصر سليمان بحوالي ثلاثة قرون على الأقل .

الذي يولد فيه علمٌ يسمى علم الآثار (Archeology) الذي يقرأ التاريخ كما تُقرأ الصحف، فيفضح تراثهم ويكشف الزيف في كتبهم ومدوناتهم، التي يعتبرونها مقدسة!!.

لقد كان لعلم الآثار وعلمائهُ الفضل الأكبر في دحض مزاعم مغلوطة رَسَخَتْ على مدى قرون عديدة في أذهان شعوب كثيرة، بما فيها شعوب البلاد العربية. فقد أثبتت الدراسات التاريخية، أن فلسطين كانت منذ القدم تقع بين إمبراطوريتين عظيمتين. الأولى في الشمال الشرقي هي إمبراطورية بابل وآشور، والثانية في الجنوب الغربي وهي إمبراطورية مصر القديمة (الفرعونية). وكانت أرض فلسطين ممراً لخيول الفراعنة باتجاه بابل، أو طريقاً لجيوش بابل باتجاه وادي النيل، الأمر الذي حال عبر التاريخ دون قيام دولة مركزية قوية في فلسطين على غرار مملكتي داوود وسليمان المزعومتين .

وأكد جودت السعد في كتابه "أوهام التاريخ اليهودي" وجود هذا الواقع الذي كان سائداً في فلسطين، حين قال: «كانت أرض كنعان الطريق الدائم لحركة الجيوش القوية والإمبراطوريات الكبيرة، ومعها لم يكن بالإمكان قيام دولة في فلسطين ... وهذا ما تؤكدُه السجلات والآثار والحواليات البابلية والآشورية والمصرية والحثية. فقيام دولة "أسطورية" كما في التوراة هو محض خيال. كما أن الدور الذي لعبه الموسويون في فلسطين ... ليس له أي بعد حضاري أو قيمي»⁽¹⁾. ويضيف السعد: «تشير التنقيبات التي شملت كل فلسطين والمناطق المحيطة بها إلى وجود المصريين كحكام على فلسطين منذ القرن الخامس عشر ق.م وحتى السادس ق.م، باستثناءات سيطر فيها الآشوريون أو البابليون»⁽²⁾.

إن ثبوت السيطرة المصرية الفرعونية على فلسطين، وتحديدُها تاريخياً بالفترة التي زعم فيها التوراتيون قيام مملكتي داوود وسليمان، إنما يسلط الضوء على جانب في غاية الأهمية التاريخية، فهو ينسف المزاعم الصهيونية التي روجت لثقافة جمعية عالمية مضللة، أوهمت سكان المعمورة بقيام حضارة يهودية عريقة على الأرض الفلسطينية. وقد جاءت التأكيدات من خلال الحفريات واللقى الأثرية التي عُثر عليها الباحثون لإثريون في أرجاء متفرقة من فلسطين والبلدان المجاورة. «ففي شمال عكا وفي الجليل وجدت مجموعة من اللقى الحيوانية والطيور والجرار على النمط المصري القديم، وهي تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م. وعُثر على عدد من القبور المصرية المنحوتة في بيسان "بيت شان" وعمّان "ربة عمون". ويرجع تاريخ القبور في بيسان إلى ما قبل القرن الثالث عشر ق.م. أما القبور في عمّان فتعود إلى 900 ق.م. وبين تل الربيع ويافا عُثر على آثار تعود إلى الهكسوس وأخرى تعود إلى عهد رمسيس الثاني، ومعظمها من القطع الذهبية والفضية. وفي أثناء التنقيب في "السامرة" وفي

(1) جودت السعد، كتاب أوهام التاريخ اليهودي، ط1، منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية،

ت 1998، صفحة 111

(2) المصدر السابق - صفحة 81

المكان المسمى تل سبسطيا ، تم العثور على زجاجيات وفخاريات مصرية مكتوب عليها بالهبروغليفية . كما اكتشف الأثري S.Fisher مسلة سيّتي الأول في تل الحصن قرب بيسان ، وقد كتبت المسلة بالهبروغليفية أيضا . كما وجد الباحث والآثاري دونكان J.Garrow Duncan في تعنك (قرب جنين) لقي فرعونية تعود إلى الفترة من 2000 - 1300 ق.م ، وهو عصر ما قبل الموسويين ، ⁽¹⁾ .

لم تقتصر التنقيبات الأثرية على مناطق محددة في فلسطين ، بل شملت كافة المناطق الفلسطينية والمناطق المحيطة بها التي توقع الباحثون وجود لقي أو أوابد أثرية فيها ، تحكي شيئا عن الماضي السحيق . وكانت تخمينات الباحثين تأتي في محلها إلا ما ندر ، فقد كانت فلسطين تزرخ بالأوابد الأثرية والنقوش واللقى التي أكدت وجود الفراعنة في فلسطين كحكام لها من القرن الخامس عشر ق.م (أي قبل خروج الموسويين من مصر) ، حتى القرن السادس ق.م ، الذي يُعرف بقرن السبي البابلي وتدمير الهيكل المزعوم .

باختصار شديد، إن هذه اللقى والأوابد الأثرية تدعم القول: إن التاريخ لم يشهد قيام أي كيان يهودي في الفترة التي زعموا فيها قيام مملكة داود وسليمان وأحفادهما في فلسطين . وهذه الفترة تمتد لقراءة الألف عام من تاريخ فلسطين القديم . يضاف للمكتشفات الأثرية التي نفت قيام هذه الدولة اليهودية ، ما قاله علماء الآثار المتخصصون في التاريخ الفلسطيني . وحسبنا في هذا المجال أن نؤكد أقوالنا بشهادات جزء يسير مما قاله الكثيرون من علماء الآثار المحايدين وغير المحايدين ومن بين هؤلاء علماء آثار يهود و"إسرائيليون" والتي نفت بمجملها ما زُعم عن قيام مملكة داود أو سليمان في القدس .

من أقوال علماء الآثار ⁽²⁾

يقول عالم الآثار الاسباني "فرانز لوبر" : «إن الظروف التي كانت قائمة في فلسطين القديمة لم تكن ملائمة لتطور مملكة كبيرة ولا لنشوء أية إنجازات كبرى كالأهرامات المصرية أو قصور بلاد ما بين النهرين» .

وأعلنت جامعة "ويلهاوزن" الألمانية بطلان الصفة التاريخية للتوراة التي تعتبر أن نصوصها قد أعيدت كتابتها بكثير من التحريف والتزوير ، بل وبكثير من الاختلاق أيضا ، وخصوصاً في أثناء مرحلة النفي إلى بابل .

ويقول المؤرخ اليهودي البروفسور "زئيف هرتسوغ" : «إن مملكة داود وسليمان المتحدة ، التي تظهرها التوراة كقوة إقليمية عظمى في زمنها ، لم تكن في الواقع أكثر من مجرد مملكة قبائلية صغيرة» . ويضيف "هرتسوغ" : «إن جميع الروايات التوراتية وحروب بني إسرائيل بقيادة "يشوع بن نون"

(1) المصدر السابق - صفحة 81 - 86

(2) موقع العرب وصحيفة كل العرب - فلسطين/ الناصرة - الأربعاء ، 09 كانون الأول 2009

لا تستند إلى أي واقع حقيقي، إنما يمكن الجزم بصورة قاطعة أن القدس لم تكن إطلاقاً عاصمة مملكة كبيرة كما تذكر المزاعم التوراتية».

ويقول اليهودي "الإسرائيلي، إسرائيل فنكلنشتاين"، وهو عالم آثار بجامعة تل أبيب: «هؤلاء الناس (من يقومون بالحفريات في القدس) يحاولون خلط الدين بالعلم».

ويقول اليهودي الأمريكي "نيل سيلبرمان" مؤلف كتاب "التوراة مكشوفة على حقيقتها": «إن الأدلة الحاسمة للحفريات والتفقيبات الأثرية في كل من فلسطين ومصر والأردن ولبنان، تفيد أن داود وسليمان كانا أقرب إلى رئيسي عشيرة منهما إلى ملكين بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولم يقوما بأي من الأعمال العظيمة المروية في التوراة العبرية»، ويضيف: «إن فلسطين كانت - وظلت دائماً - مسكونة من عدة شعوب تتالوا عليها، أو تجاوزوا فيها، كاليبوسيين والكنعانيين والفلسطينيين والفينيقيين والعماليق، وإن "الإسرائيليين" لم يكونوا إلا مجموعة هامشية فوضوية طارئة، نمت وسيطرت لفترة قصيرة على منطقة محدودة من المرتفعات والتلال المركزية في فلسطين، ولا صحة لتلك الفتوحات الإقليمية والتوسعية المنسوبة لداود وسليمان، ولا لبناء ذلك الهيكل الكبير المزعوم».

ونفى المؤرخ "الإسرائيلي شلومو ساند" وجود شعب يهودي خلال ندوة عُقدت عام 2009 في بروكسل حضرها جمهور ضم مثقفين عرب منهم الروائي اللبناني إلياس خوري. واستقطب لقاء "ساند" الأستاذ في جامعة "تل أبيب" اهتماماً لافتاً قياساً بلقاءات أخرى جاءت في إطار المهرجان نفسه، إذ تحدث "ساند" عن كتابه "كيف اخترع الشعب اليهودي" الذي أحدث ضجة كبيرة بعد نشره، مُجدِّداً نفية وجود شعب يهودي مُعتبراً أن ذلك "أسطورة" قامت عليها "دولة إسرائيل".

وتابع المؤرخ "الإسرائيلي": «الشعب اليهودي آتٍ من الكتاب المقدس، بمعنى أنه شيء خيالي تم اختراعه بمفعول رجعي». وأكد "ساند" الذي نشر كتابه في الولايات المتحدة الأميركية «إن احتمال أن يكون الفلسطينني قاذف الحجارة حفيداً لداود هو أكثر بكثير من احتمال كوني أنا حفيداً له». وأضاف: «إن دولة إسرائيل ولدت بفعل اغتصاب أراضي المواطنين الأصليين سنة 1948».

طبيعة الهيكل المزعوم بحسب ما صورته نصوص التوراة، وأعقبنا ذلك بما كشفه علم الآثار من تناقض صارخ بين ما أوردته التوراة وما أثبتته الحقيقة على يد علماء الآثار المعاصرين. وأنهيينا العرض ببعض الشهادات

وهكذا، وفي ما مر من صفحات أظهرنا

التي أدلى بها علماء وباحثون أكثرهم من اليهود، حيث شككوا بما قالته التوراة في العديد من المسائل، التي يرفضها العقل السوي، وأثبت بطلانها علم الآثار، وجهود الباحثين الذين شملت اهتماماتهم المنطقة بأسرها.

واستكمالاً لفقرات البحث، ومن أجل تغطية كافة الجوانب المتعلقة به، نجد لزاماً علينا التوقف عند ما قاله القرآن الكريم في النبي سليمان وهيكله "الأسطوري".

سليمان ومملكته في القرآن الكريم

لقد ذكر النبي سليمان ﷺ في ستة عشر موضعاً من القرآن الكريم، لم يُذكر في أي منها بشكل صريح أن النبي سليمان ﷺ كان ملكاً، إنما اكتفى الباري ﷻ بالإشارة إلى ذلك الملك تلميحاً لا تصريحاً. وربما كان ذلك لأن النبي سليمان كان ملكاً على عشيرة صغيرة مهمة من بني إسرائيل. فقد قال تعالى في سورة الأنبياء الآية 79: « فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا »، والمقصود أن الله تعالى مَنَحَ النبي داود، ومن بعده سليمان عليهما السلام، العدل في الحكم والمعرفة وسداد الرأي. ولم يقل: «آتيناها ملكاً وعلماً». كما قال تعالى في سورة النمل الآية 15 « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ». لكن الآيتين 16 و 17 من سورة النمل حملتا ما يفوق العظمة الملكية، حين شرع النبي سليمان ﷺ بتعداد المكرمات التي خصه الله بها، قائلاً: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ»⁽¹⁾. وفي الآية التي تلت جاء فيها: «وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ»⁽²⁾. وفي سورة سبأ الآية 12 قال تعالى: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوهاً شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاً شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ⁽³⁾ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ».

كما وردت كلمة الملوك التي يقصد بها النبي سليمان على لسان بلقيس ملكة سبأ حين قالت: «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً»⁽⁴⁾.

أما عن هيكل سليمان فلم يرد في القرآن الكريم ذكر له على الإطلاق، وإن ما ذكر هو ما شيدته الجن للنبي سليمان، والذي ورد ذكره تحت مسمى "الصرح"⁽³⁾. إن هذا الصرح الزجاجي الذي وضع فيه عرش الملكة بلقيس بعد إحضاره من اليمن، لم يُبنَ ليكون بيتاً من بيوت الله، تمارس فيه العبادات وتؤدي تحت سقفه الطاعات، إنما كان بناءً هذا الصرح استعراضاً للقوة والعظمة التي أعطاها الله للنبي سليمان أمام الملكة الكافرة القادمة من سبأ، عليها تعود عن كفرها وتؤمن مع سليمان: « قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً .. »⁽⁴⁾، إلى آخر الآية.

مملكة سليمان في قولين

ما آتينا على ذكره للتو، كان قول الله تعالى في سليمان وصرحه. وبالمقارنة مع قول العلماء الأثرين في سليمان وهيكله، قد يظن البعض أن تضارباً من نوع ما قد وقع بين القولين. لكن في

(1) القطر: النحاس المصهور

(2) سورة النمل - الآية 34

(3) قال الزَّجَّاجُ في قاموس تهذيب اللغة: الصرح هو القصر. وقال الليث الصرح بيت واحد بينى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء وجمعه صروح. ومنه قوله تعالى (فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى). القصص - الآية 38

(4) سورة النمل - الآية 44

الحقيقة ليس هناك من تضارب. فقد قال الأثريون أن لا وجود لهيكل سليمان في فلسطين، وأن مملكة داوود وسليمان ليستا إلا رئاسةً قبليةً لعدد يسيرٍ من الناس لا ترقى إلى مستوى الممالك. وأن الظروف التي كانت قائمة في فلسطين وجوارها منعت قيام دولة مركزية على النحو الذي أسهبت وبالغت بوصفه التوراة. فالعلماء استنتجوا ذلك لأنهم لم يعثروا خلال عمليات البحث والتنقيب في أرجاء فلسطين كلها على أثر يشير إلى مملكة كانت قائمة في عصر النبي داوود، أو النبي سليمان عليهما السلام.

أما القرآن الكريم فقد أشار للنبي سليمان بصفته من أولي العزم الجبابرة، فقد كان يملك الجنود من الجن والإنس والطير والرياح وغير ذلك من عوامل القوة التي منحها الله له بصفته نبياً لا ملكاً. فالعلماء الأثريون صادقون لأنهم لم يعثروا في فلسطين على أثر لمملكة عظيمة على النحو الموصوف في "التوراة"، فقالوا ربما كانت مملكة قبلية هزيلة طواها الزمن وابتلعها الدهر فغابت عن الوجود. وتأتي آيات القرآن الكريم أيضاً صارمةً وواضحة، حين تطرقت لمظاهر القوة لدى النبي سليمان، وأعرضت عن ذكر القدس أو حتى أي مدينة فلسطينية كمكان لملك سليمان. وهذا يجعل قول الأثاريين وقول الحق ﷻ يلتقيان عند نفي الأول لوجود هيكل في فلسطين، والثاني عدم تحديد فلسطين مكاناً لهيكل سليمان المزعوم.

هنا قد يتبادر إلى الذهن

سؤال جوهري،

كيف لم يحدد المكان الذي قام فيه ملك سليمان، والنبي سليمان هو استمرار لبني إسرائيل الذين أمرهم الله في عهد النبي موسى أن يدخلوا الأرض المقدسة حين قال النبي موسى لقومه: «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»⁽¹⁾. والجواب على هذا التساؤل في غاية البساطة، إذ لم يرد في القرآن الكريم تسمية فلسطين بالأرض المقدسة، بل قال فيها إنها الأرض المباركة. أما التقديس فهو للوادي المقدس في سيناء، فقد قال تعالى مخاطباً موسى: «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى»⁽²⁾. وفي موضع آخر من الكتاب العظيم، قال الحق ﷻ في سورة النازعات الآية 16: «إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى». إذن معنى "ادخلوا الأرض المقدسة"، لا يعني بالضرورة أن تكون أرض فلسطين هي المشمولة بأمر الدخول هذا.

وحتى تسمية الخالق لأرض فلسطين بالمباركة، فإن هذا لا يعني تحديداً لها، إنما يعني تشريفها بالتبريك الذي حباه الله للمسجد الأقصى وما حوله، فهو القائل في أول سورة الإسراء: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ». لكن هذا الفضل الإلهي شمل أماكن أخرى أيضاً حين قال تعالى في سورة آل عمران الآية 96: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ

(1) سورة المائدة - الآية 21

(2) سورة طه - الآية 12

لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ». إذن فلسطين وما حولها أرض مباركة وليست مقدسة ، وهي غير معنية بالأمر « ادخلوا الأرض المقدسة ».

اجتهاد في تحديد موقع مملكة سليمان

على ضوء ما تقدم ، ومن خلال ما تبقى من صفحاتي ، سأسمحُ لنفسي أن أجتهد ملتصقاً بالأجرين ، عملاً بالقاعدة الفقهية "من اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ومن اجتهد فأصاب فله أجران ، " . إن لقصة النبي سليمان ﷺ مع الهدد في كتاب الله الكريم ، دلالات لا يمكن تجاوزها أو القفز من فوقها ، فهو عندما تفقد الطير وجد الهدد غائباً ، فتوعده بالعذاب الشديد أو الذبح إن لم يأتِ بسلطانٍ مبين ، وعندما عاد الهدد ، أخبر النبي سليمان أنه كان في مملكة سبأ (في اليمن) حيث وجد هناك امرأة تحكم قومها وهم يسجدون للشمس من دون الله ، فطلب منه النبي سليمان أن يعود إليها للتو حاملاً رسالته التي تأمرها بالحضور إليه طائعة مستسلمة ، حتى ينظر أكان الهدد صادقاً أم كان من الكاذبين. ذهب الهدد حاملاً رسالة النبي سليمان ووضعها على سرير الملكة بلقيس وعاد قبل أن ينتهي النهار .

إن أهم دلالات هذه القصة القرآنية ، أنها مقدمة تساعدنا على تحديد المسافة بين مُلك سليمان ومملكة سبأ ، فهي لا تزيد عن ربع المسافة التي يستطيع الهدد طيرانها في نهار واحد ، لأن الهدد خلال ذاك النهار ذهب من مكان إقامة النبي سليمان ﷺ إلى مملكة سبأ وعاد قبل أن ينقضي نصف النهار ، فأعاده النبي سليمان ليحمل رسالته ويعود آفلاً قبل حلول الظلام ، لأن الهدد لا يستطيع الطيران ليلاً .

فإذا افترضنا - بشيء من التسامح - أن سرعة طيران الهدد ستون كيلو متراً في الساعة ، وافترضنا أنه يستطيع الطيران لمدة اثنتي عشرة ساعة يومياً دون توقف ، فإن المسافة الافتراضية المقطوعة خلال نهار واحد هي سبعمائة وعشرون كيلو متراً ، وإذا أخذنا ربع هذه المسافة وهي التي قطعها الهدد أربع مرات في نهار واحد ، لحصلنا على الرقم مائة وثمانين كيلو متراً ، إذن ، نستدل من ذلك أن النبي سليمان ﷺ كان على مسافة تقارب المائة والثمانين كيلو متراً عن مملكة سبأ ، وهذا يعني أنه لم يكن في القدس ، التي يفصلها عن مملكة سبأ أكثر من ألفي كيلو متراً .

النقطة الثانية الجديرة بالاهتمام هي: أن الله عز وجل سخر للنبي سليمان فضلاً عن جنود الجن والإنس والطير والريح ، سخر له الشياطين من بنائين وغواصين تحت الماء ، فقال جلّ وعلا في سورة ص: « فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ 36 وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ 37 » . هذا يعني بوضوح أن ملك سليمان لم يكن في القدس لأنه لا يوجد بحر في القدس كي يغوص فيه الشياطين. لكننا إذا دمجنا المعلومتين معاً لاستنتجنا أن نبي الله سليمان كان مقيماً على إحدى ضفتي البحر الأحمر بعيداً عن مملكة سبأ بمسافة تعادل المائة والثمانين كيلو متراً تقريباً. يضاف

لذلك أن ملكة سبأ حين استلمت رسالة النبي سليمان ﷺ استطاعت أن تقرأها وتفهم مضمونها ، وهذا يدل على وحدة اللغة بين مملكة سليمان ومملكة سبأ ، ما يدعم الرأي القائل بقرب المسافة بين مُلك سليمان ﷺ ومملكة سبأ. ودليل آخر على قصر المسافة التي تفصل بين مملكتي سبأ وسليمان ، أن الملكة بلقيس حين قررت الذهاب إلى حيث يقيم النبي سليمان ﷺ لم تضل الطريق ، ولم يرافقها أدلاء يرشدونها للدروب المؤدية إلى المكان المقصود. وورد أخيراً في بعض التفاسير (تفسير الجلالين) أن النبي سليمان ﷺ تزوج من الملكة بلقيس ، وظلت ملكة على سبأ ، وأن النبي سليمان كان يزورها كل شهر ويمكث لديها ثلاثة أيام ، يعود بعدها إلى مملكته ، وهذا دليل آخر على قرب المسافة بين المملكتين. ولو كان مُلك سليمان في القدس كما يزعم التوراتيون ، لاحتاج النبي سليمان لأكثر من شهر في كل غدوة ورواح.

الخاتمة

نختم بحثاً بالقول: لقد تجمع لدينا في هذه الدراسة ثلاثة أقوال: الأول هو ما قالته التوراة بشأن النبي سليمان والهيكل الذي بناه - افتراضاً - في القدس. وهذا القول دحضه علم الآثار والمفكرون بما ساقوه من أدلة وبراهين تثبت أن لا وجود لمملكة داوود أو سليمان في القدس ، وحتى في عموم فلسطين. والقول الثاني هو قول علماء الآثار والمؤرخين الذين أكدوا أن فلسطين في أثناء الفترة من القرن الخامس عشر ق.م إلى القرن السادس ق.م كانت محكومة من الفراعنة ، وليس من النبي داوود أو سليمان عليهما السلام. وهذا يدفعنا لكي نطالب بإعادة النظر برحلة بني إسرائيل من مصر إلى الأرض المقدسة ، التي زعموا أنها فلسطين. إذ كيف يهرب النبي موسى وبني إسرائيل من الفرعون في مصر ليلتجئوا إلى أرض يحكمها الفرعون في فلسطين ؟. والثالث هو قول الحق جلّ وعلا في النبي سليمان وصرحه ، حيث أوضح أن النبي سليمان كان نبياً عظيماً ، وكان ذا بأس شديد في ذاك العصر ، لكن لم ترد إشارة إلى أن النبي سليمان شيّد هيكلًا أو مسجداً أو دار عبادة ، عدا ذلك الصرح الزجاجي الذي أمر الجن بإنشائه قبل قدوم ملكة سبأ إلى مملكته.

في الخلاصة لكل ما ورد ، نجد أنفسنا أمام خيارين اثنين. الأول قول الأثريين ، والثاني قول الكتاب الكريم. فإذا أخذنا بقول الباحثين الأثريين ، فهذا يعني أن لا وجود لهيكل مزعوم في فلسطين ، لأن الظروف الموضوعية التي كانت تعيشها الأرض الفلسطينية لا تسمح بذلك .

أما إذا أخذنا بالرواية القرآنية ، فإنها لم تُشر من قريب ولا من بعيد إلى أن مقر حكم النبي سليمان كان في القدس ، بل على العكس من ذلك فإن قصة الهدد وملكة سبأ والغواصين تشير إلى أنه كان في مكان بعيد جداً عن القدس. كما لم يُشر القرآن الكريم إلى الهيكل المزعوم. وإن الحق تبارك وتعالى لم يذكر سوى الصرح الذي بنته الجن للملكة بلقيس. وبذلك يلتقي رأي علماء الآثار مع قول الحق جلّ وعلا بعدم وجود هيكلٍ لسليمان لا داخل فلسطين ولا خارجها.

لذا نقول كلمتنا الأخيرة

لمن جعلوا الأساطير نبراساً لهم، وخلطوها مع حقائق العلم والمنطق، فزيفوا التاريخ والجغرافيا، وأطلقوا العنان لخيالهم كي ينسج الأباطيل والأكاذيب، من دون أن يتوقعوا كشف أراجيفهم في يوم من الأيام. نقول لهؤلاء: لا تبحثوا عن وهم اسمه الهيكل، لأنكم لن تجدوه لا في القدس ولا في سواها. لا فوق الأرض ولا تحتها، لأن ما تزعمونه من مجدٍ غابر، هو محض خيال، لا وجود له إلا في كتبكم وأسفاركم، التي أثبت زيفها أبناء جلدتكم، وحاملو عقيدتكم، ممن أبصروا الحقيقة، فلم يزيغوا عنها.

